



رابطہ اولیا

٢) أزهار محمد عبدالرحمن القبوري ، ١٤٤٧هـ

القبوري ، أزهار بنت محمد عبدالرحمن
رابط الولاية. / أزهار بنت محمد عبدالرحمن القبوري - ط ١. -
جدة ، ١٤٤٧هـ

١٤٨ ص ؛ A5 سم. - (رابط الولاية ؛ ١)

رقم الإيداع: ١٤٤٧/١٥٢٢١
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٦-٥٤٧٣-٤

جميع الحقوق محفوظة

تم المراجعة اللغوية والإخراج في القسم الفني في:

دار كيان للنشر والتوزيع

جدة - المملكة العربية السعودية

www.kayanstore.com

المشرف العام

الناشر: وليد سلمان حايك



دار كيان للنشر والتوزيع
Kayan House For Publishing & Distribution

يمنع نسخ أو تصوير هذا الكتاب أو أجزاء منه بأي وسيلة سواء كانت ورقية أو إلكترونية أو تسجيله

صوتياً أو بأي وسيلة نشر أخرى دون إذن خطي مسبق

من دار كيان للنشر والتوزيع.

رباط الولايا

أزهار محمد

الطبعة الأولى

1447هـ - 2026م

الزمن القديم، حيث الأصالة والعراقة والتاريخ...

هنا رابط الولايا.

رابط الولايا ليس رابطاً بعينه،

ولكنه رابط صنعه خيال وإحساس وتصور لجمال العلاقات

الحميمة،

والعادات الجميلة،

لزمانٍ ما،

لبشريةٍ ما،

في حارة جدة القديمة

حارة المظلوم، هي إحدى حارات جدة التي تقع داخل
السور؛ حيث مسجد الشافعي، والبيوت التراثية الجميلة
ومركز العمدة.

نحن الآن في ساحتها الكبيرة صباح العيد، مشهد مليء
بالضجيج، صباح مُشمس يغطي بشرية كبيرة، أصوات تتعالى
هنا وهناك، فقد كان الناس منتشرين في كل مكان في الساحة
بعد صلاة العيد، صغارًا وكبارًا ومتوسطي العمر.
الأرجوحات الحديدية تملأ المكان، وأصوات صرير
الحديد ينطلق من الأرجوحات. كان الجميع مبتسمًا رغم
تصيبهم عرقًا، لكنهم كانوا سعيدين بألوان ملابسهم
المبهجة والجميلة.

لقد كان النساء والأطفال رائعين؛ فالنساء بعبايات جديدة
يلبسن البراقع التي تظهر ابتسامة عيونهن ودفء نظراتهن،
والفتيات الصغار يرتدين الفساتين المنفوشة ذات الألوان
الزاهية: وردية وصفراء وحمراء.

الأولاد كانوا يرتدون الثياب البيضاء الصغيرة، فقلوبهم البيضاء الصغيرة مثل ثيابهم.

كانت النساء يلبسن البناجر والصنادل السوداء، وفي أيديهن حلويات بأوراق بنفسجية وبيضاء، بطعم النعناع والحلقوم المحشي بالفستق، وبعض الحمص المغطى بالسكر والمصبوغ بألوان الورد، وحلوى البقرة المشهورة في ذلك الزمان، مع حلاوة حُمر كما ينطقونها، وحلاوة التوفي بألوانها الكثيرة ونكهاتها المختلفة، فقد كانت تُغري الجميع بفتحها.

النساء يمسكن بأيدي الأطفال الصغار، يقدمن لهم الحلوى وبعض القروش، ليوزعوها على الأطفال الآخرين، بينما الرجال يرتدون الثياب البيضاء التي تم كيُّها بالنشاء، وبخت بالماء حتى بدت كالورقة البيضاء، فقد غُسلت بالمياه المفورة، وبعضًا من الصبغ الأزرق المعروف "بالنيلة"، أما الآن فقد تجعدت وتبللت من العرق، مع العقال الغليظ والأزرار الفرنسية المدورة، والكبكات المدورة مع الأزرار.

وبعضهم فضل العمامة الحجازية، التي تعد رمزاً للأناقة والوجاهة في العيد، ولبس معها البقشة¹ من الشال الكشميري العتيق.

كان الجميع سعيداً برقص المزمار، وهم مجموعة من الرجال يرتدون العمامة البرتقالية ويرقصون بالعصا على أهاديح العيد الجميلة. وبعد انتهاء الرقص، باشر الأهالي بتحريك المراجيح الحديدية، وكم أشعرهم تحريك المراجيح يدوياً بالملل، فما إن يتوقفون، حتى يتأفف الأطفال فيعودون لتدويرها مرة أخرى.

كان الجميع مرهقاً بعد صلاة العيد في المسجد، وزيارة الأقربون ومعايدتهم، وشرب القهوة العربية، وتناول الحلقوم والحلوى الليمونية وغيرها من الحلويات، ومعايدة الجيران، ومن ثم ذهابهم إلى عيد البلد. ليعلو أصوات الرجال وهم يتناوبون في أناشيد العيد، ومن أبرزها:

(1) البقشة شال كشميري وقطعة تلف حول الخصر، يضع فيها الرجال أغراضهم الشخصية.

يا حلوة العيد يا حلوة

من مالي جديد يا حلوة

شغل الفنان «يا حلوة، أشكال وألوان» الأغنية كاملة.

فجأة يُسمع صراخ شديد ونحيب، يلتَمّ الناس بسرعة
حول امرأة عجوز تولول بشدة. امرأة بيضاء ذات كُتْل وعروق
بنفسجية تظهر على يدها. الجميع يسأل، وبالقوة تتجمع
كلماتها:

ـبنتي نوران... بنتي نوران

وبصوتٍ آخر:

ـإيش بها؟

فتصرخ بصوتٍ عالٍ:

ـضاعت نوران... ضاعت!.

ينطلق الجميع بحثًا عن نوران يمينًا ويسارًا، وبقيت بعض
النسوة يهدّئن نادية ويربتن على كتفها:

«معليش... معليش»

وكلُّ يكلمها ليهدي من روعها بكلمات مثل: «معليش»
و«اصبري» و«ربنا كريم».

قامت المرأة ولم تكن تسمع لأحد منهم، نظراتها العنيفة تتجه يميناً ويساراً، تنهض بقية الحريم معها باحثين عن نوران بين أزقة البلد وحواريها، (حارة الشام، وحارة اليمن، والمظلوم، وزقاق الخنجي)، وبقية أزقة البلد وحاراتها، ومن دهليز إلى دهليز، ومن زقاق إلى زقاق، حتى أذن الظهر، رجع الحريم إلى بيوتهم مرهقين عند أذان المغرب، فبالكاد كانت أقدامهم تلامس الأرض من شدة الإرهاق والتعب، وبقي بعض الرجال برفقة رجال الشرطة، يتجولون في الحارات بحثاً عن نوران.

ذهبت بعض النساء إلى "الرابط" 1 حيث تقيم المرأة العجوز "نادية". وبقي بعض الرجال برفقة رجال الشرطة،

(1) الأبطة هي مكان للإيواء الخيري، للأرامل والمطلقات، اللواتي لا يملكن مكاناً ونفقة.

متجولين في الحارات بحثًا عن نوران.

عمّ الليل في الأجواء، وكلُّ ذهب مهودًا إلى بيته بعد صراع عنيف بين الفرح والحزن والفقد والفاجعة. كان الليل باردًا، والقمر مكتملاً، والكلاب تنبح بشدة، كأنها تحسّ بفجعة الليل.

الكل متواجد في بيته، إلا نوران، مفقودتنا الجميلة ذات الخمسة عشر عامًا. فتاة بيضاء، بشعر جميل، تبدو عليها ملامح الذكاء والحزن والهدوء؛ فقد كانت يتيمة وحيدة بلا إخوة، حضن أمها نادية هو الحضن الدافئ والوحيد لها.

ونادية من أصل تركي، عجوز محدّبة الظهر، فقد كانت تكثّر الجلوس على ماكينة الخياطة، إنها الخياطة الوحيدة في البلد، وهي من كانت تُطرّز فساتين الأفراح والعيد وفي المناسبات، وكانت نساء الحارة يتجمعن عندها، ويحببنها بشدة رغم قلة حديثها، فأسرار نساء الحارة كلها عندها؛ فهم يثقون بها كثيرًا، فهي كاتمة أسرارهم، ولو لم تجد لها حلًا.

وقد وورثت نوران جينات أمها النفسية كالصمت،

والذكاء، والكتمان أيضًا.

جلست نادية طوال الليل على سجاداتها تنتحب، تشكو الله حينًا، وتبكي حينًا، وتولول حينًا. وصديقة عمرها معتوقة تربت على شعرها وتبكي معها.

ومعتوقة امرأة في الخمسين، جسمها سمين وكفوفها سمينة أيضًا، ترتدي بنجرتين من الذهب، وتلبس طرحة سوداء تغطي بها شعرها الأبيض، وكان الوقار والهدوء واضحًا في وجهها.

وبين المواساة والحزن، يغلبها النوم، وما إن تغفو قليلًا حتى تتذكر نادية، فتقوم فزعة. ونادية تدعو بلغتها الأم التركية:

_الله يا رب، الله يا كريم.

تلك هي الجملة الوحيدة التي فهمتها معتوقة، فتشاركها الدعاء بلهجتها الحجازية:

_يا رب... يا رب، سترك، استر على نوران يا رب. برد قلب
نادية، اجبر خاطر نادية يا رب. نادية مسكينة ضعيفة، وما
عندها أحد، اجبرها يا رب.

تهزّ نادية رأسها، والدموع تسيل من عينيها، وهي تكمل
دعاءها بلغتها الأم.

غفت معتوقة في حضن نادية، وصارت نادية تربت على
رأسها وتختيل نوران بدلاً من معتوقة. حتى صدح صوت
الأذان، فصبّ الدمع من عيناها صَبًّا، وتمتت:

_الله أكبر، الله أكبر... يا رب أنت أكبر مني ومن الكل، رجّع
نوران يا رب.

قامت معتوقة من النوم، وهي تؤمّن على دُعائها، وعند
الصلاة، نادية لم تستطع الوقوف، فصلّت جالسة، وحتى أنها
عند سجودها لم تعرف كم صلت!

دُقَّ الباب، همّت معتوقة بفتحه وهي بمسفع الصلاة، تتلثم
به، وإذا بالعمدة "حمتو" في وجهها، يُرخي عينيه إلى الأرض،
حاملاً بيده كيس المقاضي، من خبز وسكر وزيت وشاي،

وثلاثة كيلو من اللحم، وبعضاً من الخضار الطازجة. وبصوته
الجهوري قال:

_اسمعي يا ست معتوقة، أنا عارف العلاقة بينك وبين
نادية، بلّغي نادية لا تخرج من بيتها. إحنا بلّغنا الشرطة، وأنا
أولهم. حنّودور على بتتنا نوران، وكل أهالي الحارة حيدوروا
على بتتهم نوران. ما عليها، وكل اللي تحتاجه إحنا عندها.
قالت معتوقة:

_جزاك الله خير، ما قصّرت يا عمدة، أنت ليه جايب
المقاضي بنفسك، ليه ما أرسلت حسن؟ .
العمدة وهو يدير ظهره:

_في أمانة الله مقاضي الشهر دا كُله علي.
أغلقت معتوقة الباب، وذهبت إلى المطبخ ترصّ
الأغراض في النّملية¹ فوضعت فيه مقاضي العمدة.

(1) النملية هي عبارة عن دولاب خشبي صغير فيه بعض الصّحون والملاعق،
ويستخدم لحفظ الطعام من الحشرات.

وفي مكان الفحم، تذكرت زكريا - وهو بائع الفحم - لم يمر عليها منذ فترة، لقد كانت تنوي تحضير فطور خفيف مع الشاي من أجل نادية.

دخلت عليها نادية بصمت، وتناولت عدة قهوتها التركية "السُّبْرَاتِيَّة" التي ورثتها عن والدتها التركية. كانت تشعل الكبريت وتنظر له طويلاً.. حتى ينطفئ، فتعيد إشعاله مرة أخرى فينطفئ، وفي المرة الثالثة حرق إصبعها! .

توجهت لها معتوقة بفزع:

- عنك يا قلبي، إيش ذنبه اصبعك دا حرقتيه؟ استهدي بالله.

فركتُه معتوقة بيدها واكملت:

- هاتيه أغسله وأبرِّده، اصباeck غالي علي.

نادية تنظر لها بحزن شديد:

- النار في قلبي يا معتوقة... قلبي نار.

انهارت مرة أخرى، فاحتضنتها معتوقة مواسية:

ـ حبيتي لا تسوي في نفسك كده، نوران بتتنا يا نادية مو
بتتك لوحدك، استودعيها الله ولا تخافي.

تقوم نادية، فتبعثها معتوقة تاركة الفطور، واتجهت نادية
لركن حجرة نومها الصغيرة، لتفتح صندوق ملابسها
الأخضر، وتأخذ منه عباءتها السوداء، لكن معتوقة نزعته منها
العباءة:

ـ لا يا نادية، لا تخرجي، العمدة منع!
صرخت نادية بلهجتها المكلمة كما يسميها أهل الحجاز
قديمًا:

ـ هادي بنتي! ما أحد يمنعني، أنا لازم أدور عليها.
معتوقة تحاول تهدئتها:
ـ لاهو خايف عليك يا حبيتي، إنتِ لا أكل ولا موية، ولا
أي شي على لحم بطنك.
نادية:

ـ كيف أكل وبنتي ما في؟ كيف أبلع؟

وفجأة دُق الباب. تجلسها معتوقة وتقول:

_اجلسي واهدئي.

لتفتح الباب، وإذا بجمعٍ غفير من الحريم عند الباب. دخلن جميعاً يسلمن عليها، ويدعون لها جهراً وبأعين مليئة بالدموع والشفقة. وكانت «فوزية» تتوسطهم، وعي امرأة ضخمة شديدة، تبدو على ملامحها الطيبة والصرامة، ترتدي مِسْفَعاً أبيض وجلابية زرقاء، بيضاء جميلة ذات أعين زرقاء من أصول يمنية.

تشد فوزية على يد نادية:

_استقوي بالله، ربنا ما يضيعك ولا يضيعها. أنتِ إنسانة طيبة، أبوك شيخ كتاب ومحفّظ قرآن. لا تخافي وشدي حيلك، وإن شاء الله يلقوها.

وأخرجت من جيبها مسبحة سوداء من مرجان البحر الأسود يُدعى اليُسْر ثم سلمته لها:

_خدي، لا تخرجيها من يدك، وصلي على الحبيب.

ردت النساء من خلفها:

_قلبك يطيب.

تستسلم نادية وتجلس معهم. حينها اقتربت منها امرأة العمدة، وهي في الستين من العمر، تبدو عليها سمة الهدوء والعقلانية، كانت ترتدي المحرمة المدورة وثوبًا أبيض فاخر، أمسكت بيد نادية وقالت:

_لا تخافي، كلنا معاك. «حمتو» زوجي ما حسيبك أبدًا، هو ورجال الحارة موزعين في كل الأماكن، ويبدورا مع الشرطة.

فوزية وهي تؤكد:

_ها يا ندو! ، شفتي العمدة بنفسه حيدور عليها، اهدي بس.

تأتي سلمى، وهي من جاراتها في الرابط، ثلاثينية العمر، تلبس الملون من الثياب، أنيقة دومًا وثرثارة بما تعنيه الكلمة، تُعرف بالمرضعة، حيث أرضعت نصف أطفال الحارة في شبابها، المسفع الأبيض ملفوف على رأسها بأناقة، وتنسدل

منه بعضًا من خصلات شعرها المصبوغة بالحنّاء، تبسم
سلمى لنادية وتقول:

ـندو، حلاوة لدو والله، ما تزعلي. إنتِ حبيبة الكل،
والكل ما يستغني عن خياطتنا التركية الحلوة. ندعيلك
ونطبخ لك وكل شي تؤمري بيه.

قاطع الحديث دخول امرأة سمراء، ذات شعر أبيض
مجعد، وملامح قاسية وحواجب كثيفة، وشفاه ممتلئة
غليظة.

اقتربت من نادية وسلّمت عليها بصمت، ليصمت الجميع
حينها، وكأن النفوس هناك تريد أن تنطق بكلمة «اخرجي».
خرجت فوزية من المكان بنفور، وسلّمت على نادية
قائلة:

ـعن إذنك، غرفتي جنبك، أي شي تحتاجيه كلميني.
وتخرج صالحة أيضًا، مستأذنة نادية :

ـإذا في أي شي، أنا والعمدة تحت أمرك، إنتِ بنت حارتنا
من زمان.

هزّت نادية رأسها واحتضنتها مودعة.

سلمت معتوقة على المرأة السمراء وهي تقول:

_كيف حالك يا رقية؟

أجابت رقية:

_بخير، إنّ كيفك وكيف نادية؟ أنا ما كلمتها، اللي صار عليها يا أختي موهين.

بعض النسوة ألقين السلام على رقية لكن الأكثرية لم يفعلن، وجلسن يتهاמשن معها، وينظرن إلى نادية من بعيد. بدأت أكثر النساء في الانسحاب، وكأنهن يتجنبن الجلوس مع رقية، التي كانت بدورها تحقق نحو نادية بنظرات غريبة وحادة، تم تتحدث:

_إن شاء الله تلقوها... يعني فين تكون راحت؟، ولا إيه يا معتوقة!

قالت معتوقة وهي تجلس بجانب نادية:

_أكيد ربي يعترنا عليها.

قالت رقية:

ـ سوي لها قهوتها التركي، يمكن بيان معاها شي! .
صوبت نادية نظراتها لرقية، كأنها تعلم مرادها الفاسد، ثم
أدارت وجهها بدون حديث.

قالت معتوقة:

ـ أقولك يا رقية، هجدينا، ربنا هو اللي يعلم الغيب.

قالت رقية:

ـ والنعم بالله، ما قلنا شي، بس جيت أساعدها، قطعت
قلبي والله.

قالت معتوقة ببرود:

ـ طيب شكرًا ليكي، تحبي أعملك قهوة؟.

قالت سلمى:

ـ سوي لها قهوة ولا شاي، إحنا كمان نبغى شاي.

ثم استدركت حين رأت وجه نادية مقلوبًا:

ـ لا خلاص، خليه بعدين.

استعدت رقية للمغادرة وهي تقول:

_اسمعي، انتبهي على نفسك، ما أحد راح ينفعك يا نادية
عيونك الحلوة حتتأكل من الدموع.

لم تعلق نادية على حديثها فقط شكرتها بأدب، خرجت
رقية لتدخل ميمونة بجلاليتها الخضراء، وسمار بشرتها، وهي
تلفّ العباءة على وسطها، وما إن تبتسم حتى تظهر فراغ ستّتها
الأمامية. تسلّم على نادية، تحتضنها، وترفع يدها للسماء
وتدعو بقوة:

_ربنا معاكي يا حبييتي، ربنا كريم، ربنا قادر... نوران يا رب
يا كريم.

تربت على كتفها معتوقة:

_اجلسي يا حجة ميمونة، ارتاحي.

تهزّ ميمونة رأسها:

_كيف راحة؟ هادا نوران بنتي يا معتوقة، كيف أنا أرتاح؟
والله قلبي يبكي من جوّه.

سلمى وهي تسلم عليها:

_يا ميمونة، ارتاحي.

وتهمس في أذنها:

_ثلاثة أيام ما تجي تنظّفي غرفتي.

تنظر ميمونة لها بغضب:

_ما أنتِ شايفة نادية كيف حالتها؟ والله ما لي نفس أمسك مقشّتي.

سلمى:

_خلاص، فضحتينا، بكرة تعالي.

ميمونة تتنهد قائلةً:

_والله هادي البت فين راحت؟ يكون أحد سوّى عمل لها.

تصمت نادية وهي تنظر إلى ميمونة، لا تعليق إلا من معتوقة:

_دحين يا ميمونة، عشان انسحر ولدك، كل الدنيا صارت سحر؟ إيش دخل الضياع في السحر؟.

ميمونة:

_استغفر الله يا معتوقة، هادي نوران مو بزرة، كيف راحت؟

تنظر نادية إلى ميمونة بنظرات الفضول، لكنها لم تستطع الحديث بشيء.

معتوقة:

_خلاص يا ميمونة، قولي خيرًا أو اصمتي.

تضرب ميمونة كفًا بكف:

_والله هادا السحر مو كويس. أنا ولدي مرة يحبني ويسلم على رجولي، دحين بس يسبني، تصوّري! والله ما أقدر أقعد معاه. الولد مرة صار شي تاني. حتى بناقي الاثنين كلهم أطلقوا بسبب هاد السحر.

سلمى، وهي مستمتعة بحديث ميمونة:

_كيف عرفتني يا ميمونة إنه بسبب السحر؟

ميمونة:

_معلوم، كله من هادي مرة أخويا، ما تركت أحد إلا وسوت له شي. ولدي حافظ قرآن وكان مرة يحبني، دحين شي تاني... يسبّ ويضرب. هاد شيطان، كله سحر.

سلمى تستمع وترد:

_والله يا ميمونة ولدك يؤمّ الناس، صراحة، وكل الخير والطيبة فيه، أنا أشهد له.

تقول النساء بصوت واحد:

_إيوه والله، من صغره كتاتيب وقرآن.

بدأت أحاديث النساء ترتفع من هنا وهناك، وسلمى تلتفت إلى هذه وتلك، تشارك هنا وهناك، لا تترك حديثاً إلا وتعلّق عليه، من أحاديث الجن والأولاد والمشاكل، إلى أن غفت نادية وهي جالسة في عالم آخر. انتبهت لها النسوة، وبدأن بالمغادرة، يسلمن على معتوقة، ويوصينها أن تنبه لنادية هذه الفترة ولا تتركها أبداً.

في مشهد آخر

كان الرجال مجتمعين عند العمدة «حمتو»، ومركز العمدة، عبارة عن دكة وكراسي خشبية وكبار رجال الحارة. استند الرجال على المساند، وهم من كبار أهل البلد، من تجار، وأصحاب بيوت ومحلات وحرف.

وكان حسن يقف معهم، مرتدياً فوطته الخضراء وقميصه الأبيض، وهو صبي من أصول إندونيسيا، تابع لتاجر كبير يدعى «عبد الرحمن»، وهو رجل في الخمسين من عمره، علامة النضج واضحة عليه، يرتدي العمامة الحجازية، وهو تاجر كبير لديه العديد من المحلات والدكاكين.

كان محمد -ابن العمدة- يسكب الشاي للرجال، نظر عبد الرحمن إليه وقال مخاطباً والده:

_والله يا عمدة محمد صار يلبس العقال، وما في زي شهامته ورجولته. يتبسم العمدة ويقول برضا:

_هو الي صار ماسك كل أشغالي، ربي يحفظه هو وإخوانه وبزورته.

عدل عبد الله جلسته وأمسك عمامته البرتقالية، بيده التي
تميل للسمرة قائلاً:

_ الله يحميه، واحد كآلف!

ابتسم محمد لهم شاكرًا، لم يمر الكثير حتى عاد الجميع
للتيقظ، وبين تنهد وحيرة، كل الحديث كان يصب في أحوال
نوران، فقد كانت بمثابة الابنة، لهم ولأولادهم الكبار،
الجميع ترك عمله ومحلّه مغلقًا.

قطب العمدة حواجه ثم صاح في الرجال:

_ اسمعوا، نوران بنتنا، بنت كل واحد في الحارة. أبغى
منكم تحطّوا أنفسكم مكان أبوها شيخ الكتاتيب الله يرحمه،
كلنا حفظنا على يده القرآن، وأنتم أهل الشهامة والمروّة،
ولازم نردّ دينه علينا.

صاح الرجال بصوت واحد:

_ صدقت يا عمدة، والله صدقت. اللي تأمر فيه. ما ننسى
فضله أبدًا.

قال العمدة:

_إحنا ما حنخلي الشرطة وحدها، لازم نوقف جنب الشرطة، ندور معاهم ونعاونهم.

قام أحد الرجال يدعى محمد، في الثلاثينيات من عمره، بشرفته حنطية، حرفي ماهر، ومعلم في البناء قال متسائلاً:

_هي يا عمدة ضاعت... ولا أحد خطفها؟

لمعت عينا العمدة لفكرة كبيرة لم تأت على باله وهو وقال مفكراً:

_تفتكر أحد خطفها؟ والله إنك صادق.

صاح عبد الرحمن، وهو يشعل الشيثة:

_والله يا عمدة شكله كده في أحد حط عينه عليها. البنت كبرت، وعشان كده لازم نفتش في كل مكان، حتى البيوت. يمكن انخطفت، ولازم نتفتش البيوت مع الشرطة.

نظر له عبد الله بغیظ، وقد انحنى ظهره وتقوس:

_إيش تقول يا أخويا؟ إنت والشيثة حقتك؟ اقعد قرقر

فيها وسدّ حلقك يا عبد الرحمن. ترى كلنا هنا ناس طيبة وأصيلة ورجّالة، سامع ولا لا؟ قال تفتيش بيوت قال!.

ضحك رجل آخر كان يجلس معهم، يرتدي ثوبًا بثنية عند أكمامه. نظر له الجميع بتعجب:

— هادا وقت ضحك يا عمر؟

قال عمر وهو يحاول تهدئتهم:

— يا هو، إيش بكم؟ من باب شرّ البلية ما يضحك. عم عبد الله خايف على حريمه.

قال عبد الله غاضبًا:

— يعني إنت ما إنت خايف على حريمك؟ ولا عشانك ما تزوّجت وقاعد عزابي؟ طيب أمك، أختك، عمّتك، خالتك، كيف؟

قال العمدة:

— اهدوا يا هو. ولو الشرطة اقترحت إننا نتفتّش ونتفتّش بيوتنا، الحمد لله، إيش عندنا يعني؟ كلنا ناس طيبة وتحت أمر

الشرطة. هما أمتنا وأماننا.

قال الجميع بصوت واحد:

_ صدقت يا عمدة، والله أمن وأمان.

قال عبد الرحمن:

_ إيوه والله، من يوم ما تولّى علينا عبد العزيز، والأمن عندنا
صح، خير ونعمة.

قال عبد الله وهو ينظر لعبد الرحمن مازحًا:

_ مو يمكن أحد من الحجاج اللي تعرض بضاعتك عليهم
شافها وعجبته؟

ترك عبد الرحمن الشيشة وردّ بنبرة حادة:

_ أنت ترمي عليّ البلا ليه؟ ما تشوف عمر؟ مو هو اللي
متولي أمرهم؟ خلاص لا تزعل، ما أحد بيفتّش بيتك. لا
تتكلم كمان في شرف البنت.

قال عبد الله منفعلًا بدوره:

_أقول سدّ حنكك! أنا ما قلت شي على البنت، أنا أتكلم
إنّه أحد خطفها من برّا، لأن حارتنا كلّهم خيرين، وأولهم
نادية وبنتها.

قال العمدة:

_أقول اهدوا. أصلاً الأم وجوزها رحمه الله عليه، من يوم
ما جوا جدة وسكنوا عندنا، وهم أشرف ناس قرآن وعلم
وأخلاق. وصنعة، تخطيط لحريمنا كل شي يبغوه. هيّا، لا أحد
يفتح فمه.

تمتم الجميع:

_أيوه والله، صادق يا عمدة.

قال العمدة وهو يشرب الشاي من فنجان الزجاجي
الصغير:

_عموماً إحنا حندور ونسأل في الحارات اللي جنبنا لين
تجي الشرطة وتقول كلمتها، وإحنا حاضرين. بس اسمعوا،
لازم ما نسكت. شدّوا الهمة، بناخذ لفة كل يوم، والله كريم.

قال عبد الله وهو يعدل عمامته المائلة وينظر لعبد الرحمن:

_والحجاج مالهم دخل، ما نسألهم.

قال عبد الرحمن وهو يترك الشيشة محدقاً نحوه بغیظ:

_إيش شكله ده؟ عالم كبش!.

قال العمدة:

_والله يا عبد الرحمن، عم عبد الله معاه حق. ممكن أحد من الحجاج، وهو حاضر العيد، عجبته البنت وخطفها.

قال عبد الرحمن:

_وإذا أخذها، تلبسوني ليه؟ إيش لي أنا؟

قال العمدة محاولاً تهدئته:

_هدّي نفسك. إحنا بنفكر، إيش دخلك في الحجاج؟ إنت ولي أمرهم!

قال عبد الرحمن:

ـإيوه، وليه ما تقول ده الكلام لمطوفهم كلهم؟ عشان
تفتش البيت؟

قام عبد الله غاضبًا، ووجه حديثه لعبد الرحمن:
ـبالله قولوا يا عمدة، يسيب البهللة!، شكلهم الأربعة اللي
عنده هبلوه.

قال عبد الرحمن غاضبًا:

ـآه لو ما إنت كبير في السن، كان قلت لك شايب عايب.

ضحك عبد الله وقال:

ـأنا ضعيف، الله راضييني بواحدة، واسمي شايب تايب مو
عايب.

ضحك عبد الرحمن ساخرًا:

ـعم عبد الله، تبغى حرش إنت من الصبح ولا إيش؟.

فجأة دخل عليهم بياع الفحم، ببشرة سوداء، يحمل
بضاعته كاملة في زنبيل على ظهره، وقد بدت عليه علامة

الإرهاق، فوضع كومة من الفحم لإشعال أتاريك⁽¹⁾ العمدة
عند قدمه وسلّم.

ردّ الجميع السلام.

قال العمدة:

_اجلس يا زكريا، ارتاح. بعت اللي عندك خلاص؟

رد زكريا وهو يمسح عرقه بمنديل قماش:

_الحمد لله، نعمة وفضله.

قال عبد الرحمن:

_جيب لك واحد يساعدك، حملك ثقيل وأنا سداد.

ابتسم زكريا:

_وصّيت جيراني من السودان، جاي واحد في الحج صغير

لسى شباب يشيل عني شوي. لوني صاير فحم من كثر ما
أشيله والله.

(1) الأتاريك في لغة أهل الحجاز هي مصابيح إضاءة قديمة تعمل بوقود الغاز،
وتعطي نورًا قويًا.

قال عبد الله مبتسمًا:

ـ يا ولد، هو إيه ده؟ إنت من أول أسود، تضحك علينا.

ضحك زكريا:

ـ أبويا أبيض والله، إيش أسوي له؟ يحب السود واتجوز أمي.

قال عمر وهو ينظر لزكريا:

ـ والله ذكرتني بقصة أبوك. الحريم حاروا في تزوجه، لين ما جوا حجاج السودان، وطلب مني أدور له على عروسة، وجدتكم والله ما قصّرت. جات تصرخ عليّ تقول نكبت نسلنا، وأنا أقول لها كله بسبب ولدك، هو اللي طلبني. بس حقيقي، أمك شرف وأخلاق. فاظفر بذات الدين تربت يداك.

ابتسم زكريا:

ـ شكرًا عمنا عمر، ربي يذكرك بالشهادة.

قال العمدة :

ـ قوموا يا الله نلفلف. كل واحد يسيب شلته وأهله، ونلف

على الحارات، ندور على البنت بدل شغل المناقرات
حقّتكم، الله ييسّر.

انصرف الرجال جميعاً يجوبون الحارة بحثاً عن نوران،
حتى حلّ الليل.

وبينما كانت نادية ومعتوقة عند الروشان⁽¹⁾، تتلفت نادية
يمنة ويسرة، باحثة عن أثر لطفاتها في ليلة كان البدر يزين
سماءها، ونسائم الليل تنساب على أركان الغرفة وتبعث فيها
الهدوء والسكينة، وتأخذ النوم من عيون المرأتين وتشحد
قلبيهما للفضفضة، فبعد أن خرجت النسوة عند أذان المغرب
— وهو وقت متأخر جداً في ذلك الزمن — جلست نادية
بجانب فتحات الروشان باكية، وبجانباها معتوقة تحاول
تهدئتها.

قالت معتوقة:

(1) هي نافذة مصنوعة من الخشب المزخرف، يُساعد في التهوية ويتيح النظر
لسكان البيت دون أن يراهم أحد من الخارج.

—نادية، ما يصير كده. إنتِ على لحم بطنك من العيد.
صمتت نادية، دموع فقط، لا تلتفت، عيناها مثبتة على
الروشان.

فجأة التفتت نادية، وارتسمت على محياها ابتسامة حزينة:
—أبويا جا من تركيا يا معتوقة، ما عنده ولا قرش، تصدّقي؟
ابتسمت معتوقة، وعرفت أن صديقة عمرها دخلت في
ذكريات الماضي البعيد، لتهرب من مرارة الواقع.
أكملت نادية:

—ربنا بعث رزقه لنا عشان هو شيخ وإمام. في تركيا خلّوه
يسوي تحفيظ في مسجد رسول الله، وصار يعلم الناس قرآن
ربنا. وأمي كانت خياطة، هي علمتني الخياطة. وكنت حرمة
حلوة وجميلة، خطّاب كثير يجوا يبغوني، لغاية ما جا ولد
الحلال.

ابتسمت معتوقة:

—إيوه يا شيخة، كده اضحكي، حب القلب.

قالت نادية مغتظة محاولة إخفاء ابتسامتها:

ـ إيش هذا يا بنت؟ حب إيش؟ إحنا يجي عريس، أهم شي دين طيب. يالله قومي بسرعة، في عريس عند الباب، لازم تتجوزي.

هزّت معتوقة رأسها بحسرة:

ـ حتى أنا يا نادية، الحال من بعضه. يالله كمّلي!، وبعدين إنت ليش ما تعلّمتي هرجتنا؟ برضه في المكسّر حقك.

ضربتها نادية بخفّة على كتفها:

ـ أمي تتكلم كده كمان. أبويا موزيك. كلهم يتكلمو زي، كانت معتوقة تحاول إشغال نادية عن حزنها، فقد سمعت القصة مرارًا:

ـ كمّلي يا قمرتنا.

تابعت نادية حديثها:

ـ لما هذا جا، أمي قوّمتني من النوم. يالله يا نادية بسرعة نشوف فستان حق عروسة. أنا مرة انفجعت. إيش؟ مين؟

عروسة؟ تقول: إنتِ نادية بكرة زواجك، أنا بكيت وشردت من الغرفة، وأمي وراي تقول العريس رايح جدة، عشان كده مستعجلين، وبسرعة تقولي تعالي نلف على الجيران، يمكن نلقى واحدة عندها فستان على قدك.

تعجبت معتوقة:

_هذا الجزء أول مرة أسمعه. قدرتوا تدبّشوا بسرعة وتجيّبوا فستان؟، صح الجواز زمان يصير بسرعة، بس مو لدي الدرجة!

تذكرت نادية أنها شبه يومي تحكي لمعتوقة خروجهم من تركيا وذهابهم للمدينة، فقالت منزعة:

_انتي يا معتوقة دايمًا تسمعي القصة، ليش تتعيني؟

قالت معتوقة بهدوء:

_هادا الجزء اللي ما سمعته، احكي لي كيف دبّشتوا بسرعة.

قالت نادية:

_عشان العريس كان مستعجل، يبغى عروسة تاني يوم
يسافر بيها جدة، ولما سمع عن عروسة حلوة اتجنن، تصمت
قليلاً ثم تتابع، تعرفي أبويا؟ لما جا المدينة ومسجد الرسول،
جاله واحد وقرب منه وأعطاه فلوس وقال له: إنت حترّس
قرآن، وحيعطوك فلوس. وبعدين اختفى.

نظرت في عين معتوقة وقالت:

_يا معتوقة، أنا ما قلت لك هادي الحكاية صح؟

ابتسمت معتوقة، ومسدت على رأس نادية:

_قولي يا أمي، أسمع منك تاني. حتى لو قلتها مليون مرة،
زي العسل على قلبي.

قالت نادية بغيظ:

_ليش ما قلتي لي إني حكيتك هادي الحكاية؟ أنا ناقصة
تعب؟ المهم، ما ترعلي... انتي تبغي حكاية الفستان، صح؟

قالت معتوقة:

_هودا.

تسرح نادية وتنظر من فتحات الروشان، وتلتفت يمينًا
ويسارًا عن نوران، لكن معتوقة هزّت كتفها محاولة إشغالها:
_يلا يا شيخة، اتكلمي... كيف لقيتوا الفستان بسرعة؟

قالت نادية:

_لفينا كل المدينة، والجيران سوّوا صندوق الدبش. فيه
ثلاثة فساتين وقميص، وفستان عروسة حق واحدة اتزوجت
قبلي بشهر، وهي من النوع اللي تحافظ على النظافة. وبس.
وأهل العريس سوّوا في السطوح لمبات، وعشا سليق،
وبرتكان، وموز، وتفاح كمان.... وحزري معتوقة إيش جابوا
حلاوة؟

ابتسمت معتوقة، وهي تعرف، لكنها تسأل:

_إيش اللي جابوه؟

قالت نادية:

_صندوق وبرتكان، ووزّعوها على الناس، غير البرتكان
مع السليق.

قالت معتوقة مبتسمة:

_الله... حتى أنا يا نادية جابوا لي حلاوة لوزية وحلقوم
ملفوفة في صُرة، ووزعوها.

قالت نادية بصوت خافت:

_الحمد لله... أنا شردت يوم جوازي، ونزلت تحت
الدهليز. وأمي قعدت تدور عليّ، وأخذتني بقرصة في رجلي،
ولبّستني فستان جوازي بالقوة، وحطّوني في الكرسي. وهادي
أول مرة أشوف أبو نوران...

_وما إن نطقت باسم بنتها، حتى تغرغرت عيناها بالدموع،
وتأوهت من قلبها، وارتمت في حضن معتوقة، التي بدأت
بدورها بقراءة محفوظها من القرآن عليها.

_دخلت نادية في نوم عميق بعد إرهاق يوم طويل، لتسحب
معتوقة نفسها وتضع رأس نادية على سرير الروشان، يأذن
الفجر فتحمل معتوقة نفسها لصلاة مع قلب يتفطر على تلك
الأم الفقيدة، بعد ذلك توجهة إلى المطبخ لتحضّر الفطور
لنادية، رغم تعبها.

_دق الباب، فتحت معتوقة، فإذا بفوزية أمامها، وفي يديها العديد من الفطائر الساخنة وطبق من المعصوب وآخر من العريكة، سلّمن على بعضهن.

قالت فوزية:

خليها عندك فوق النملة، عشان نبدأ درس القرآن في البرحة.

ترددت معتوقة:

_كيف درس ونادية في حالها المحزن دا؟

قالت فوزية بحزم:

_كيف؟ أحسن شي تسويه الآن تدرس القرآن.

قالت معتوقة:

_ما هي في حال لحفظ دحين، حالتها حالة، وعيشتها نخالة.

أمسكت فوزية بكف معتوقة وقالت:

_القرآن يشفي القلب. انتي ازهميها ومالك صلاح، وأنا في
برحة الرباط أستناكم لين ما يتجمعوا الحريم. دخلت سلمى
بكفوفها المحناة، سلّمت على معتوقة، وفي يدها طبق من
القول والطرشي، والجبنة البيضاء بالطماطم وزيت الزيتون،
وبعض أقراص الخبز المصنوع من القمح الكامل، ذات
الحبة السوداء والشمر، ناولتها قائلة:

_خدي يا معتوقة، نفطر بعد الدرس.

وتوافدت حريم الرباط، وبعض من حريم الحارة وفي
أيديهن أطباق الشكشوكة، والفطائر، وبيض العيون بالسمن
البري المحلي الطازة.

أخذت معتوقة منهم الأغراض، وأتت بنادية إلى البرحة.
تجمعت بعض النسوة حول نادية وسلمن عليها.

بدأت فوزية درسها من القرآن بسورة عمّ، بتلاوة طيبة،
والنساء يرددن خلفها. سرحت نادية قليلاً، فدعمتها فوزية
ونبهتها، ثم انتقلت المعلمة بتفسير بعض الآيات وشرحها.

وبدأت النساء بحكاياتهن، وترديد العبارات المكررة في كل درس:

_والله كان جوزي يقولي دائماً كده.

_وأيوه، دائماً البزورة والجوز هم أرزاق.

_أبله فوزية، بطونا تفرقر... فطووور! راسنا فاير، خلينا نشرب الشاهي ونكمل، ضربت فوزية كفًا بكف وقالت متنهدة

_خلاص، كل مرة كده!، المهم الخمس الآيات الأولى نسمعها، والدرس الجاي نخش على جزء تبارك وحنّا حافظين جزء عمّ تمام التمام سامعين! .

_انطلقت النسوة سريعاً للمركب، وفرشن السفر ووضعن الفطور مع الشاي المنعنع، وبدأت فقرة الأحاديث هنا وهناك، همست معتوقة لنادية:

_والله ما أنا حاطة شي في فمي لين تاكلي قبلي.

قالت نادية بحزن:

_لا تحلفي عليّ يا معتوقة... كيف آكل ونوران مادري
أكلت ولا لا؟

قالت معتوقة:

_اسمعي، أنا سكتّ عليك كثير. يلا، حريم الرابط كلهم
جاينن يأكلوكي غصب.
هزّت نادية رأسها:

_طيب، فيهم خير. كتر خيرهم. شوفي، في ديازة في الركن
هناك في غرفتي، حطي لهم منها. أنا سويتها للعيد. وبدأت
عينها تغرغران. لاحظت النسوة ذلك، وبدأت كل واحدة
تعطيها لقمة في فمها، حتى صرخت نادية:

_حآكل، خلاص!

تناولت القليل مجاملة لهن، ثم حاولت الاستئذان لذهاب
إلى غرفتها. أمسكتها معتوقة وقالت:

_تعالِي يا نادية، إذا خلصتي أكلك أسويلك قهوتك التركية
اللي تروقك بالوجه الي تحبيه، بركة إنك غفيتي شوي وأكلتي
معانا.

استأذنت نادية الحريم بعد الفطور، لإجهااد بدنها.
حضرت معتوقة قهوة تركية أصيلة بوش وناولتها
ضاحكة:

ـ شوفي الوش كيف، موبس انتي اللي تسوي قهوة تركي!..
تناولت نادية من جانبها صندوقاً صغيراً من الصدف
الجميل، أخذت منه تبغاً ولقته، وبدأت تتنفس دخانه بعمق.
دُق باب الحجرة، لدخل فوزية الغرفة، فأطفأت نادية التبغ
احتراماً لفوزية التي كانت التي كانت تسعل بشدة. همست
فوزية لمعتوقة:

ـ على حالة نادية، طمني عليها... والله الضنا غالي.
عانقت فوزية نادية وربّت على كتفها، وتنهدت:
ـ لا حول ولا قوة إلا بالله... يعني دحين ما في لا حس ولا
خبر؟ يا هو... لكن يشهد الله ويعلم، كل سجدة أدعي لك ربي
يعثرك عليها. ساد الصمت، لتنهض نادية فجأة قاطعة حبل
الصبر:

_ خلاص، أنا لازم ما أسمع كلام العمدة، لازم أدور بنفسي.

_ أجلستها فوزية بكفها الضخم المملوء بنقش الحنة:

_ وه يا ندامة! انتي قادرة تصلبي طولك وتدوري على بتتك بين الرجال؟ اقعدي. الرجال والشرطة ما حصلوها، انتي تبغي تحصيلها؟ يلا أرقدي لك شوية في غرفتك.

بعدها دق الباب، فدخلت سلمى وفاطمة وبعض الحريم سلمن وبدأن يتمتمن بالسؤال:

كيف ضاعت؟

هل كانت جنبك؟

كم دقيقة مرت؟

هل تشكين في أحد؟

سألت فوزية:

_ إنتِ كانت جنبك يا نادية؟ أعطيتها حلويات توزعها؟ ما لاحظتي في أي جهة راحت؟

أجابت نادية بصعوبة:

_كانت جمبي. قلت لها: نوران، لا تروحي عني بعيد.
وزعي بسرعة وتعالني نمشي الرباط. إحنا ما عندنا أحد نروح
له إلا الرباط ومرّة العمدة.

قالت فوزية:

_نادية، والله نوران هادي غالية عندنا كلنا، نفداها. أنا كل
يوم أروح عند العمدة وأسأل عنها. انتي ريحي بس. وبعدين
انتي نسيتي إنك ولدتي وجبتي لنا أجمل قمرية؟، ردد الحريم
بصوت واحد:

_ما شاء الله، تبارك الله... قمر، صح!

هزّت نادية رأسها:

_انتى ما في زيك يا فوزية، حبيبتنا كلنا. نشمية من يومك،
توليدنا تحفظينا قرآن.

تُكمل فوزية مبتسمة، وهي تقبض كفها وتفتحها:

_وأحلب لكم من غنمتي، والله أبغى أحلب، لكن قلت

بكرا أبغى ألحقك وأفطر معاك، وآخذك لمررة العمدة نزورها
ونشوف العمدة إيش سوّى.

تقوم نادية فجأة:

ـ فوزية، يلا بسرعة قومي نروح، يمكن اليوم حصلوا
نوران. هيا بسرعة!

ترد فوزية:

ـ أروح معاك على شرط تشربي حليبي المغرب، يهديك
ويجيب لك النوم.

نادية بعجلة:

ـ قومي يا حرمة، دحين تكون صحيت مرة العمدة،
والضحى مناسب للزيارة.

تقوم فوزية:

ـ يلا سرينا.

تلبس نادي العبادة بسرعة وتخرج مع فوزية، وتلتفت إلى
بقية الحريم قائلة:

_خذوا راحتكم في المكان ، معتوقة سوي شاهي لهم .
تخرج فوزية وهي تمسك بنادية، ومن ورائهم سلمى
تجري محاولة اللحاق بهم:

_ما تاخذوني؟ ها؟ مو أنا اللي ليل نهار معاكم!
ترد فوزية:

_يا ربي عليك، وقتك! ما إحنا رايعين ضيافة، رايعين
نسأل العمدة ونرجع.

تقول سلمى بإحباط:

_وأنا كمان! نادية ناسية إني رضعت ببتك!
تضحك فوزية:

_انتي مرضعة الحارة كلها! خلاص امشي لا تزعلي .
كانت نادية وفوزية تمشيان متشابكتي الأيدي، وبجانبهم
سلمى لا تسكت ولا تكف عن الحديث، من حكاية لحكاية .
وفي الطريق واجهتهم حليلة، امرأة سوداء، تلبس مسفعاً
أحمر وتلف العباءة على وسطها، ومن تحتها جلاب

بألوان غامقة، وشبشب يدخل رباطه بين أصابع رجلها
يسمونه «أبوزنوبة»، وفوق رأسها زنبيل من الخصف. تنادي
وتردد:

ـ شيلي قمامة، كنسي بيت!

سلمت على فوزية ونادية وسلمى:

ـ كيف حالك يا نادية؟ كيف حالك عمتي فوزية؟ كيف
حالك سلمى؟

قالت سلمى:

ـ دوبك تسلمي؟ فينك يا بعيدة! فال

ـ جابت لي المرض، مرة ما أحبها دي... عكس عمتها حجة ميمونة.

تهز نادية رأسها وكأنها لم تسمع:

ـ بسرعة يا فوزية، يمكن جابوا نوران.

ضحت سلمى وقالت:

ـ وبعدين انتي يا فوزية حقت قرآن، ما يصير كده.

تلهث فوزية وهي تمشي

_اتفضلوا، أهلاً وسهلاً. ستي صالحة دقيقة وأناديها.
اتفضلوا في مجلس الكُرْوَيْت.

كانت غرفة الجلوس عبارة عن غرفة كبيرة للاستقبال.
المقاعد من خشب، غُطِّيت بقماش أحمر وأبيض يُدعى أبو
عصفور، وكان هو القماش الوحيد الذي يُكسى به الكرويت.
ولها أيضًا مساند عريضة للظهر، يغطي أطرافها قماش أبيض
جميل، نُقِشت عليه رسوم ناعمة، تتوسط المجلس طاولات
جانبية خشبية.

دخلت صالحة زوجة العمدة، لبست لباسًا أبيض من
قماش الدانتيل، ولَفَّت رأسها بالمحرمة المدورة، وهو لباس
نساء الحجاز آنذاك، وكان يُعد من الطرح الفخمة.

سَلِّمت عليهن واحتضنت نادية:

_حببتي نادية، والله ربنا يجبر خاطرك ما يهمك.

قالت صالحة وهي تهدئها:

_معلش يا نادية، اجلسي وارتاحي.

ردّت نادية:

_كيف أرتاح وقلبي بعيد عني؟

أجلست فوزية نادية بالقوة وقالت:

_كده يعني.

قالت صالحة بتأثر:

_والله يا نادية، العمدة يدور عليها مع رجال الحارة ساعة

دخلت الشريفة رضا بعصير ليمون وأكواب الموية
المبخرة.

أمسكت صالحة العصير وقدمته للضيوف. ردّته نادية:
_ما أقدر... شكرًا.

شربته فوزية دفعة واحدة، وهي تنظر لنادية:
_يا أمي اشربي، يبرد على قلبك.
ضحكت سلمى:

_زي فوزية، ما صدقت تبرد على قلبها.
قالت فوزية:

ـ يارب... يارب. شكرًا شكرًا، يا شريفة رضا.

قالت صالحة:

ـ نادية، انتي تشكي في أحد؟ الشرطة راح تحقق معاك، وما تخافي، إن شاء الله يكونوا معاك.

رفعت نادية رأسها:

ـ ما أعرف يا حبيتي. ما أظن أحد يسوي شر كبير كده. يمكن هي مشيت وتاهت... ما ع

حبوب. وأهو محمد كبر، واتزوج، وجاب أحد عشر ولدًا
وبنت.

قالت سلمى:

_ما شاء الله، ربي يبارك لك. نصهم رضعتهم.

تنهدت صالحة:

_أنت مالك.

سلم

قالت صالحة:

_أيوا والله، ياخذ سندوتش الشطة ويجري مع أبوه في أشغاله وتجارته. حتى لما اتزوج، ما نسي أبوه، ولا إخوانه وأخواته من أبوه. حتى مرة أبوه اللي ما كان يطيقها، برضه كل مقاضيهها على محمد.

قالت فوزية متحمسة:

_الشر والخير فتنة... أنا أشهد لمحمد رجال والله.

زوجته نوران من غير تفكير... أدب، أخلاق، وحشمة، ما شاء
الله تبارك الله.... ما أحسدها.

قالت نادية بصوت منكسر:

—هي فين حتى تحسديها؟ يلا يا فوزية... أنا لازم أمشي.

قالت صالحة:

—ليه حبييتي؟ اصبري، يمكن العمدة يج

— أنتو إيش تقولوا؟! —

نظرت سلمى بغضب إلى فوزية:

— يا حرمة، ما عندك إلا الجواز والخلفة!، نوران صغيرة،
هو وقته الحرمة حالتها حاله.

حاولت فوزية تغيير الموضوع:

— تعرفي يا صالحة... أنا أمس ولّدت واحدة

وهي تزعق، وصارت تعض يدي بدل المخدة، وأنا أدفّها،
وأزهم أمها اللي قاعدة عند رأسها ترجف: «يا ولية تعالي
امسكي شوية، حموت أنا وبتك!» إلا الأم تنفرع ومسكت يد
بتتها، والبنت تدف أمها... وهي زي الوزغة من نحفها،
وطاحت. وطاحت الأم، وتزفلط الولد...

ضحكت صالحة بقوة:

صاحت صالحة :

_وي! ... وين ماشية الشاي بيتسوى

قالت نادية بصوت متعب:

_ سامحيني يا صالحة، أنا تعبانة... العمدة اتأخر، ولو لقي شيء كان قلتي من زمان.

_ إذن رزقك كل يوم.

ثم التفتت إلى نادية وقالت:

_ ترى أحبك، لا تزعلين. أنا دبش بس قلبي طيب.

قالت صالحة مبتسمة:

_ قلب أطفال، وأنا أشهد... على متانة جسمك.

قالت صالحة بلطف:

كلي يا أمي، حرام عليكِ نفسك. إيش قال الرسول ﷺ؟
«وإنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

قالت نادية:

_

جلس العمدة في مقعدٍ لأحد الدهاليز، فتحدثت صالحة
إلى زوجها وهي تصب الماء وقالت بحماس:

— حزر مين عندي يا عمدة؟ قاعدين من الصبح والله وهما
يستنوك!

ضحك العمدة:

